مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 العدد 02 أكتوبر2020 ص- ص:138-166.

الساحل المغربي وظاهرة السبي خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام

The Maghreb coast and the phenomenon of captivity during the first four centuries of Islam

خالد حسين محمود (*)

كلية الآداب والفنون– جامعة حائل، abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2018/03/ 01 **تاريخ القبول:** 2019/06/ 02 **تاريخ النشر:** 2021/10/ 09

الملخص

تسعى هذه الدراسة للكشف عن "ظاهرة السبي" بالساحل المغربي خلال فترة الدراسة، والخروج بفكرة شاملة عنها، وفهم ملابساتها،ومحاولة وضعها في إطار تاريخي أشمل.

كان الفاتحون والولاة وغيرهم من رجالات الدول المنفصلة.في صراع على الجبهات في حوض البحر المتوسط،وما تناثر به من الجزر وأشباه الجزر مثل صقلية وسردينية وكريت وجنوب ايطاليا والسواحل الجنوبية لبلاد الفرنجة، والتي نعتتها مصادرنا باسم " بلاد الروم" ،والتي أسهبت المصادر في تصوير ما دار فيها من احتكاك عسكري بين العرب والروم كان كفيلاً بانتعاش عمليات السبي كمحصل طبيعي أسفرت عنه تلك المواجهات الحربية والصدامات المسلحة علي امتداد تخوم هذا البحر شمالا وجنوبا، ومنذ الطلائع الأولي لعلميات الفتح .

الكلمات الدالة الساحل ، الروم ، الفرنجة ، المغاربة، البربر البحر المتوسط.

Abstrac:

This study seeks to reveal the "phenomenon of captivity" on the Moroccan coast during the study period, to come up with a comprehensive idea about it, understand its circumstances, and attempt to place it in a more comprehensive historical framework.

The conquerors, governors, and other men of the separate states were in a struggle on the fronts in the Mediterranean basin, and the islands and peninsulas scattered therein, such as Sicily, Sardinia, Crete, southern Italy and the southern coasts of the Frankish country, which our sources called "the country of the Romans". The depiction of the military friction that took place between the Arabs and the Romans was a guarantee for the recovery of the captivity as a natural outcome that resulted from those warlike confrontations and armed clashes along the borders of this

* **المؤلف المرسل.**

sea in the north and south, and since the first pioneers of the conquest operations.Et à noter, la conclusion tirée par les scientifiques de l'Assemblée du projet éducatif de la propagation et de la persistance, mais grâce àl'association des savants musulmans. Algériens par la deuxième série du journal Elbassair, après avoir la relancé en 1947 ,Bashir Brahimi a voulu la rendre un phare de lumière pour répandre le mouvement de l'éducation dans le pays algérien à travers ses pages, a marché à un rythme soutenu, suivi les traces des enseignants, des élèves et de leurs responsabilités dans leurs écoles, les associations et les personnes dans leurs villes et villages, comme mis en évidence par les stylos récents à travers la presse étend de la lutte 1947-1953

Keywords: The Sahel, the Romans, the Franks, the Maghreb, the Berbers, the Mediterranean.

1. مقدمة:

لما كان الرق لا يكتب له الاستمرار إلا بفضل التزويد المتجدد باستمرار بعناصر خارجية ، كان بديهياً أن تعرف بلاد المغرب خلال الحقبة المذكورة تدفقاً لأعداد السبي من الخارج ،والذي لم يعد الاهتمام بالحصول عليه منصباً علي الجبهة الداخلية ،بل انسحب للبحث عن جبهات خارجية لإثراء هذه الأعداد المتدفقة إرضاءً للخلافة المشرقية زمن الفتوحات الأولي وإعادة تثبتها، فضلا عن توفير مصدر جديد بعد أن نضبت الجبهة الداخلية نتيجة حركة تحرير الرقيق ، ناهيك عن إسلام البربر ودخولهم في طاعة المسلمين .

سجل أحد الدارسين[1] لظاهرة الاسترقاق "أن الرق لا يكتب له الاستمرار قطعاً إلا بفضل التزويد المتجدد باستمرار بعناصر من الأطراف أو من الخارج"،وبديهي أن يمثل الساحل المغربي مسرحاً مهمهاً لتدفق السبي الأوربي بهدف إثراء هذه الأعداد المتدفقة إرضاءً للخلافة المشرقية زمن الفتوحات الأولي وإعادة تثبتها، فضلاً عن توفير مصدر جديد بعد أن نضبت الجبهة الداخلية نتيجة حركة تحرير الرقيق،ناهيك عن إسلام البربر[2] ودخولهم في طاعة المسلمين.

1. الجهاد البحري لمسلمي المغرب:

إمعاناً في إظهار الطابع العسكري لحوض البحر المتوسط أسهبت روايات المصادر في تصوير النشاط الحربي الجهادي لمسلمي المغرب علي تخوم الجبهة الشمالية المسيحية ، فهذه شهادة الشاعر أبي العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات،والذي رفض دعوة صاحب اشبيلية المعتمد بن عباد له مصوراً مخاطر الطريق وخوفه من الأسر بقوله:

البحر للروم لا تجري السفين به إلا علي غرر والبر للعرب

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسي واعجب لاسود عيني كيف لم يشب[3]

ووصف الجغرافي المقدسي[4] سكان بلاد المغرب بأنهم " في جهاد دائم" في إشارة شبه صريحة إلي المواجهات المسلحة بين المسلمين والروم،وهو ما عاينه الاصطخري[5] ايضاً فراح يصف طبيعة هذا الصراع المسلح بين الفريقين والذي كان البحر المتوسط مسرحاً له حيث أخذت "تترد فيه سفن المسلمين والروم يعبر كل فريق إلي جانب الآخر سواءً فيغنمون ، وربما اجتمع فيه الجيوش من المسلمين والروم في السفن فيجتمع لكل فريق مائة سفينة حربية وأكثر من ذلك فيكون حربهم في الماء،وهذه صفة هذا البحر وما يكون فيه". ويفصح ابن حوقل[6] – شاهد عصره – عن النتيجة الحتمية لهذه الوضعية الحرجة والتي صار بمقتضاها حوض البحر المتوسط مرتعاً خصباً للتزود بالأسري والسبايا بعد أن غدت غارات كل فريق علي سفن الفريق الآخر " بما كان فيها من الرجال والعدة والعتاد كالنار،لهيبها لا يفتر و أوارها لا يقصر ... يختطفون مراكبهم من كل أوب ويأخذونها من كل جهة .." ، فلا غرو اذن أن تصطبغ طبيعة أهل المغرب وقتئذ بالروح القتالية ويصيرون علي اختلاف حرفهم جنوداً يحصلون من الحرب علي بعض معاشهم؛حتى انهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم[7]،ولم يعد البحر المتوسط حاجزاً طبيعياً بين العرب والروم بعد أن صارت تخومه وجزره مناطق احتكاك واتصال دائمين " أهلها في غاية الجهاد وفي حين الهدنة والمسالمة مصونة في شرائط بينهم غزيرة مقرونة بالقهر والاستظهار" [8] ، كما غدا راكب هذا البحر في تلك الفترة عرضه للقرصنة والسلب ، وهو ما عبرت عنه أبيات الشاعر القيرواني أبي الحسن الحصري (ت 480

هـ/1087م) الذي رفض دعوة جاءت إليه من الأندلس و أجاب صاحبها قائلاً : أمرتني بركوب البحر اقطعه غيري لك الخير فأخصصه بذا الراء

فلا أنت نوح فتنجيني سفينته ولا المسيح أنا فأمشي علي الماء [9]

إن إثبات هذا النصوص المصدرية – بما تفصح عنه من استمرارية الاحتكاك العسكري بين العرب والروم في حوض البحر المتوسط – لكفيل بطرح نتيجة بديهية وهي انتعاش عمليات السبي كمحصل طبيعي أسفرت عنه تلك المواجهات الحربية والصدامات المسلحة علي امتداد تخوم هذا البحر شمالاً وجنوباً،وتزخر النصوص التاريخية بإشارات إلي وفرة السبي الذي دخل بلاد المغرب من خلال هذه الجبهات – من جراء تلك المواجهات– ومنذ الطلائع الأولي لعلميات الفتح، فقد اغزي عبد الله بن سعد بن أبي سرح حملة بحرية إلي جزيرة قبرص عام 29 هـ/649م أسفرت عن هزيمة أهلها واخذ الجنود من" السبي والأموال ما لا يحصي"[10]،وتفتقت قريحة أحد الفاتحين بعد أن أهاله كثرة السبي،فارتكن إليه في إلقاء خطبة وعظية محذراً إخوانه مغبة المعاصي، مشيراً إلي أهل الجزيرة أنهم لما "تركوا أمر الله صاروا إلي ما ترى فسلط عليهم السباء وإذا سلط السباء علي قوم فليس لهم فيه حاجة " [11] . وانطلاقاً من قناعته بعلاقة التجاذب التي تربط إفريقية وجزيرة صقلية؛ما أن فرغ معاوية بن حديج من فتح جلولاء حتى أرسل جيشاً في البحر إلي صقلية في مائتي مركب "فسبواوغنموا ..ثم انصرفوا إلي إفريقية بغنائم كثيرة ورقيق" [12].

3.السبي بين الروم و المغاربة منذ عصر الفتح

ولم يكن السبي الوفير خلال تلك الفترة حكراً علي العرب الفاتحين ، فقد كان السبي المسلم الذي وقع بأيدي الروم هو الآخر وفيراً، فقد شن الروم غارة علي مدينة برقة زمن زهير بن قيس مستغلين رحيله إلي المشرق " فأصابوا فيها سبياً كثيرا ً"[13]، وأهال ذلك القائد الأموي الذي ارتد مسرعاً بعسكره القليل إلي الساحل طمعاً في إدراك السبي المسلم ، والذين عجت

أصواتهم بالصراخ " والروم يدخلونهم في المراكب"[14] ، إلا انه فشل ودفع حياته ثمناً لذلك[15]، كما تعرضت مدينة قرطاجنة لغارة مماثلة شنتها سفن الروم في عهد حسان بن النعمان اثر مغادرته المدينة إلي جبل أوراس لمتابعة البربر الهاربين "فقتلوا من بها وسبوا وغنموا"[16].

ويبدو أن ما اشتهر به سبي موسي بن نصير من الوفرة لم يكن قاصراً علي بلاد المغرب فقط[17]،بل شملت هذه الوفرة أيضا الجبهات الخارجية، ولا غرو، فقد اندلعت الهجمات الحقيقية علي جزر حوض البحر المتوسط في عهده،بعد أن سقطت قرطاجنة وتم تشييد دار للصناعة في تونس،فضلاً عن حدوث ضعف ملحوظ لسيادة الروم البحرية انتقلت معه السيطرة البحرية إلي العرب[18]،وهكذا أسفرت حملة سيرها موسي بقيادة ابنه عبد الله عام 89هـ/707م إلي جزيرة ميورقة عن عودته مظفراً بالأسلاب والغنائم"[19]،وكانت نتيجة حملة أخري أرسلها في العام ذاته إلي سردانية بقيادة عبدالله بن حذيفة ان" غنم واصاب سبيا"[20]،وصلت حصيلته "ثلاثة آلاف رأس" [21]، كما تعرضت جزيرة صقلية لحملة ثالثة أغزاها عياش بن أخيل علي مراكب إفريقية، فبلغت منطقة تسمى مطمورة" فبلغ سبيهم ثلاثين الفا" [22].

ولم تبخل بلاد الأندلس بسبيها الوفير زمن موسي بن نصير أيضا، إذ تتحدث المصادر المتداولة عن أعداد كبيرة من السبي وفدت إلي بلاد المغرب من جراء فتح هذه البلاد، ارتبط ذلك بأول اتصال للفاتحين العرب بالأندلس عبر سرية طريف في رمضان عام 91هـ / 710م حيث أصاب "سبياً ومالاً كثيراً ورجع سالماً إلي المغرب "[23] ، وتم نقل السبي إلي القيروان مقر إقامة موسي بن نصير والذي نال نصيبه من الجواري الأسبانيات ذوات الجمال الفائق[24].تعزز ذلك رواية صاحب " الأخبار المجموعة " والتى ذكرت أن طريفاً " أصاب سبياً لم ير موسي مثله ولا أصحابه"[25].فلما كانت السنة التالية اغتنم موسي فرصة ابتعاد لذريق عن الأندلس – وانشغاله بإخماد احدي الثورات – وندب مولاه طارق بن زياد وعقد له الراية علي سبعة آلاف جندي ، وأسفرت الحملة عن دخول الفاتحين قرطبة وأصابوا من " النساء والذراري ما لايحصي

ولا يعد فكانت جملة السبي عشرة آلاف رأس " [26] ووجه طارق إلي موسي " بالخف والحافر والهدايا والجواري وغير ذلك "[27]، وتكشف رواية ابن عبد الحكم[28] عن مقدار ما بلغة هذا السبي من الوفرة والتي شملت القائد البربري نفسه حيث وعد معتباً الرومي – غلام الوليد بن عبد الملك – بمائة عبدٍ إن أخبر الخليفة أن فتح الأندلس كان علي يديه وان موسي هم بقتله،فلما فعل " وفي طارق لمعتب بالمائة عبد التي كان جعل له " .

2. السبي أعداده و تجلياته:

وتضاربت روايات المصادر حول أعداد السبي التي اجتاز بها موسي إلي المغرب ،فحسب رواية ابن قتيبة [29] "خرج معه مئة من ملوك الأندلس ومن الإفرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضا بأصناف ما في كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ما لايحصي.."،وإن حاول النويري [30] إحصاء ما عجز عنه ابن قتيبة فذكر أن حصيلة جواز موسي إلي المغرب من السبي كان " ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم " ، في حين ذكر ابن أبي دينار[31] انه عاد ومعه " من أبناء الملوك والأسري ما يقرب من ثمانين ألف أسير " " ووصل إلي المغرب " [32]،وأهالت أرقام هذا السبي بعضاً من المؤرخين فسجلوا أن موسي " اقبل بجر الدنيا وراءه جراً " [33] .

ولا نعدم مؤشرات أخري تؤكد علي استمرار عمليات السبي في حوض البحر المتوسط ، فقد تمكن الوالي بشر بن صفوان من غزو جزيرة صقلية عام 105هـ/ 723 م " فأصاب بها سبياً كثيراً وقفل إلي القيروان "[34] ،كما أسفرت حملة أخري علي الجزيرة عام 110 هـ / 728 م قادها عبيدة بن عبد الرحمن السلمي عن غنائم وفيرة كان من جملتها " أموال جليلة وعشرين ألف عبد " [35]،وفي ولاية عبيدالله بن الحبحاب جردت حملة الى جزيرة سردينية بقيادة حبيب بن ابى عبيدة " فاثخن فى القتل والسبى" [36] ،وفى عام 135 هـ/752م اغزي عبد الرحمن بن حبيب الفهري"أفريجة فأتي بسبيها" [37]،ورغبة في إرضاء الخلافة العباسية بالمشرق

كشف الوالي حملاته علي صقلية مما نتج عنها مدفوعات إضافية من الأسري والسبايا[38] منها حملة عهد بقيادتها لأخيه عبد الله بن حبيب الذي دخل الجزيرة " وغنم بها وسبي وظفر بها ما لم يظفر احد قبله "[39]، ويبدو أن حملة أخري شنها الوالي بنفسه علي صقلية وسردانية " فسبي وغنم "[40].

السبي ايام عصر الولاةو الدول المستقلة:

إلا أن فترة النشاط الدؤوب لعمليات السبي في حوض البحر المتوسط أيام الفاتحين والولاة أعقبت بخمول ملحوظ بدءً من مقتل عبد الرحمن بن حبيب 137هـ/754-755م، وذلك بفعل الرجات العنيفة التي هزت البلاد بسبب الخوارج والتى خبا معها النشاط الحربي لمسلمي المغرب علي تخوم الجبهة الشمالية، فضلاً عن نجاعة الأسلوب الدفاعي الذي أقامه الروم ببناء المعاقل والحصون وتسخير أسطول قوي لحراسة السواحل [41]،فلم نعد نسمع عن حملات إسلامية منظمة حتى ظهور الأغالبة،والذين أولوا الأسطول أهمية فائقة،ولا غرو، فقد دشن إبراهيم بن الأغلب حكمه ببناء الحصون علي السواحل ونقل إليها السلاح والعدد[42]، مما يومئ الى تجدد الغارات البحرية وتدفق السبي واستمراره لصالح الفريقين المتجابهين ، ففي عهد إبراهيم الأول – والذي نعتته المصادر بأنه كان " ذا رأي ونجدة وبأس وحزم وعلم بالحروب ومكائدها " [43] – تم مهاجمة قلعة طبرمين بصقلية عبر حملة قادها الأمير الأغلبي بنفسه مصطحباً معه المنجم المشهور إسماعيل بن يوسف القيرواني المعروف بابن الطلاء – حيث أقام الطالع يوم فتحها– " ففتحها واسر منها "[44] "ووهب للطلاء ثمانية عشر رأساً من السبي" [45] ومع ولاية زيادة الله الأول ازدادت اشارات المصادر عن عمليات السبي ثراءً وغنيً، فقد " صابر الأهوال وباشر الحروب " [46] لاسيما تجاه صقلية التي قدمت في عهده سبياً وفيراً ، كان أوله عام 204هـ /819 م حين أغزاها بحملة كبيرة قادها ابن أخيه محمد بن عبد الله بن الأغلب انفرد ابن الآبار[47] بذكر نتيجتها ،فقد دخلها القائد الأغلبي " فسبي منها شيئاً

كثيراً "، ثم تعرضت الجزيرة لأعنف الغارات عام 212هـ/ 827 م حين ندب الأمير الأغلبي القاضي المتحمس للجهاد أسد بن الفرات لقيادة حملة بحرية تشمل سبعين سفينة إلي صقلية فساروا إلي حصون الروم ومدنهم فأصابوا" سبياً كثيراً وسائمة كثيرة وكراعاً وكثرت الغنائم عند المسلمين "[48]،وحسب رواية الدباغ [49] "هزمهم وسباهم وغنم أموالهم "،ثم اتبع ذلك ببث سراياه إلي مناطق أخري "فأصابوا سبياً كثيراً"[50]،ويمكن أن نستشف أهمية الرغبة في الحصول علي السبي داخل مخيلة الفاتحين من خلال خطبة حماسية حث فيها القاضي الأغلبي جنوده بمهاجمة مدينة سرقوسة الصقلية قائلاً لهم " أنهم عبيدكم هربوا من أيديكم " [51] ثم ألح مكرراً " هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم"[52] ، وكان لذلك وقعه الكبير في نفوس الجنود حيث"كثر السبي بأيدي المسلمين"[53].

وتترجم شهادة أخري وفرة سبي صقلية في عهد زيادة الله الأول ، فقد سير عام 221هـ/835م أبا الأغلب إبراهيم بن عبد الله فغنم " غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بأبخس الأثمان "[54] الأمر الذي حفز القائد الأغلبي إلي بث سرية أخري إلي قسطلياسة " فغنموا وسبوا...ثم كانت وقعه أخري...فانهزم الروم وغنم المسلمون تسعة مراكب برجالها"[55]،كما تعرضت جزيرة مالطة لحملة انتدب لها زيادة الله قائده سوادة بن محمد ففتحوا حصن مالطة "وغنموا وسبوا ما عجزوا عن حمله"[56]، وفي عام 226هـ/840م سير الأمير الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب سرية إلي قصريانة"فغنمت وأحرقت وسبت "[57] ، ودفعت الرغبة في الحصول علي الأسري والسبايا الأغالبة إلي مضاعفة الحملات،فقد جردت عام 228هـ/842 م حملتان – شاتية وصائفة – قادها العباس بن فضل بن يعقوب إلي سرقوسة"يصيب منها ويرجع بالغنائم والأسري"[58]،وأسفرت حملتان مماثلتان إلي قصريانة عن قيامه بقتل،"المقاتلة وسبي بنات البطارقة...ما يعجز الوصف عنه "[59].

وما بين عامي 237هـ /851 م إلي عام 248 هـ/862م شهدت أعداد السبي الرومي تدفقاً ملحوظاً علي دولة الأغالبة، فقلما مر عام منها دون إرسال حملة ودخول سبي ، ففي العام الأول أغزي العباس بن الفضل بلاد الروم وعاد منها بعد ان " سبي من ظفر به منهم "[60]، وفي العام التالي بث سراياه في مواضع كثيرة من جزيرة صقلية وفتح كلاً من سيرينة وسرقوسة وقطانية وبنيرة وعاد بـ " ستة آلاف رأس"[61]، ثم تابع غزواته في العام التالي " فسبي ... وبث سراياه فغنموا غنائم عظيمة "[62]، واغزي أخاه علي بن الفضل في البحر عام 241هـ/855م " فأصاب وغنم وانصرف برؤوس كثيرة " [63]، واتاحت وفرة هذا السبي للأمير الأغلبي احمد بن محمد الأغلب أن يقدم طرفا منه في صورة هدايا، مثال ذلك إرساله عام 244هـ/858 رسالة إلي الخليفة العباسي المتوكل يبشره بفتح قصريانة" و اهدي إليه من سبيها "[64].

وتتوفر لدينا روايات المصادر الدالة علي وفرة السبي الذي أسفرت عنه حملات الأغالبة نحو الجبهات البيزنطية خلال عصر الأمراء الأربعة الأواخر، ففي عام 252هـ / 866-867 م – وخلال ولاية أبي الغرانيق محمد بن احمد بن محمد بن الأغلب – أتاحت حملة قادها خفاجة بن سفيان إلي بعض أجزاء صقلية تزويد إفريقية بعدد كبير من الرقيق حيث نجح في افتتاح حصون كثيرة منها حصن طرنت Tarrant الذي اقتحمه عنوة وسبي كثيراً من سكانه وكان السبي وفيراً ، شهد بذلك الراهب النصراني برنارد Bernard الذي كان في طريقه إلي الأماكن المقدسة فأبصر تسعة آلاف من الأسري الرقيق تحملهم ست مراكب علي وشك الإبحار في اتجاه إفريقية [65]، واستهل الأمير إبراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب حكمه بالخروج علي رأس أسطول سار به من سوسة إلي قلعة طبرمين التي استعد أهلها للقتال فأحاط بهم المسلمون وقاتلوهم " وسبوا ذراريهم وأمر بقتل المقاتلة وبيع السبي والغنيمة "[66]، ثم فتحت سرقوسة عام 264هـ/877م فقتل من اهلها وسبي" أكثر من أربعة آلاف

علج"[67]، وأسفرت سرية أرسلها الأمير الأغلبي عام 268هـ/881 م إلي قلاع طبرمين عن دخولها عنوة "وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها "[68]، وفي عام 284هـ / 887 م جهز إبراهيم ابنه أبا العباس إلي تخوم الروم " فقتل المقاتلة من الروم وسبي الذرية"[69] ثم خرج بنفسه مرة أخري إلي طبرمين" فقتل وسبي "[70]،ورغبة منه في إظهار التوبة راح يستنفر الناس للجهاد وعبر المجاز ودخل ارض قلورية " فسبي وغنم"[71]

ولم نعدم إشارة لسبي أوربي دخل إفريقية خلال ولاية آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله بن أبي العباس بن إبراهيم ، فقد وجه الأسطول الأغلبي عام 904م/291هـ ضربة قاسية للأطراف الجنوبية للدولة البيزنطية أسفرت عن اسر عدد كبير من الأنفس قدره البعض بـ 22 ألف نسمة اقتيدوا إلي المدن الإسلامية في شمال إفريقية [72].

ويبدو أن سبي الروم الذي دخل الإمارة الأغلبية لم يكن قاصراً علي الفئة العسكرية ، بل نعمت الأوساط الشعبية من هذا المجتمع بطرف من ذلك السبي دون قتال ، مثال ذلك إشارة المالكي[73] التي أوردها في ثنايا ترجمته للفقيه القيرواني مكرم المتعبد من أهل القرن الثالث الهجري،وتخص مدينة المنستير التي تعرضت لغارة شديدة شنها الروم بسفنهم،إلا أن الريح هاجت بها عاصفة فكسرت مراكبهم "فأخذ المسلمون سبيهم وأموالهم " ، ليتحقق واقعياً ذلك الطرح النظري الذي أوردته المصنفات الفقهية حول نوع من " الأسر قد يكون بغير قتال مثل أن تلقي السفينة شخصاً من الكفار إلي ساحل من بلاد المسلمين " [74].

واستكمالاً للرؤية يجدر بنا أن نقف ملياً عند السبي المغربي لدي الروم ، لا سيما وان عدداً من هذا السبي الذي تم استرقاقه كان يتم تصديره إلي بلاد المغرب عن طريق الحركة التجارية، حسبما اكدته بعض نوازل الفترة ، فقد عرض سحنون [75] مثلاً لمسألة التجار الذين يدخلون بلاد الروم فيشترون عبيداً مسلمين ، وطرح آراء الفقهاء حول الموضوع ، وفي ذات

السياق سئل الداودي[76] (ت402هـ /1001م) عن تجار أهل الحرب الذين يقدمون إلي بلاد المغرب ومعهم اسري "مسلمون فيملكونهم او عبيد مسلمون".

السبي الرومي من خلال غاراهم في البحر المتوسط:

لقد أكدت المصادر بشئ من الإسهاب علي عمليات القرصنة التي قامت بها السفن البيزنطية مصحوبة بجرأة بالغة مستغلة غفلة أخذت القوي السياسية الإسلامية في بعض الفترات نتيجة انشغالها ببعض المشاكل الداخلية والفتن السياسية، إلي درجة أن وصلت غاراتها حتى السواحل الإسلامية ، فهذه شهادة ابن حوقل[77] تكشف عن إلحاح الروم بالغارات عل سواحل البحر المتوسط الإسلامية "يختطفون مراكبهم من كل أوب ويأخذونها من كل جهة ولا غياث ولا ناصر ، ومن للمسلمين بناظر ، والملك فيهم هامل شاغر..."، ونبه الجو ذري[78] – احد موالي المنصور الفاطمي – إلي حملات الروم بسواحل صقلية الإسلامية أواخر العصر الأغلبي "يأخذون كل سفينة غصباً ويكثرون إظهار السلاح"، وهو ما أكدته شهادة شاعر قيرواني معاصر[79] بصياغة أدبية لابيات تنبض اسى جاء فيها:

وعلي السواحل للأعادي غارة يتوقعون لغارة وهياج

وتسجل مصادر أخري عدة إشارات لعمليات الأسر والسبي التي قام بها الروم علي سواحل بلاد المغرب ، منها إشارة أبو العرب تميم[80] وهو يترجم للصوفي عبد الرحمن بن زياد بن انعم (ت 161هـ/777م) إلي غارة شنها الروم علي سواحل إفريقية أسفرت عن اسر عدد كبير من أبناء البلاد كان من بينهم صاحب الترجمة ، والذي اخبر عن ذلك قائلا " أسرت أنا وجماعة معي فرفعنا إلي الطاغية" ، وخرج محمد بن سحنون (ت 256هـ/869م) يوما في طريقه من القيروان إلي قصر الطوب علي بعد مراحل من المدينة فأبصر "قطاع الروم بساحل ذلك البحر ضربوا علي الساحليين ... واشرفوا علي نهب الأموال وسبي الحريم"[81]، فلا غرو أن يترتب علي تلك الغارات تحول رباطات العباد والنساك – وعلي طول الساحل من بنزرت

إلي صفاقس – إلي حصون عسكرية، وغدا ساكنوها مرابطين يحملون السلاح محاولين الذود عن الحرث والنسل[82]، ولا عجب أن يقدر المؤلفون الذين ترجموا لسحنون مشاركته الشخصية في الدفاع عن سواحل صفاقس ، وقد أعد فدية كبيرة لفداء الأسري ، وكذا ابنه محمد الذي رد هجوماً للروم في ضواحي سوسة[83] ، وهو ما ينسحب أيضا علي ذات السلوك الذي انتهجه التجار وقد اخذوا علي عاتقهم المرابطة بالساحل بل دفعهم الأمر أحياناً إلي سبر أغوار البحر محاولين استنقاذ مراكب إسلامية من أيدي الروم[84]، إذ كثيراً ما كانت مراكب التجار المسلمين عرضة للقراصنة الروم ، تفصح عن ذلك نوازل الفترة ، فهذه نازلة رفعها أهل تونس إلي الفقيه الداودي بخصوص "تاجر اشتري مركبا واكتري له أجراء ، ودفع لهم الكراء وشحن ثم أخذه الروم ... واسر التاجر وبعض العمارة"[85]، وتشير نازلة أخري إلي " مراكب سافرت من المهدية فلقيهم العدو بجبل برقة فقاتلوهم وحكم عليهم الروم ... وسافروا بهم إلي بلادهم"[86] ، وفي السياق ذاته ترد نازلة عن "مركب قد صار في قبضة العدو بما فيه من المتاع والتجار"[87].

مما وفر مادة خصبة أسهبت نوازل الفترة في طرح تفريعاتها الفقهية لا سيما ما يتعلق بكيفية الفداء واسترجاع الإجارة وغيرها من المسائل[88] ، وفضلا عن هذه الإشارات النوازلية تأتي شهادة ابن الأثير[89] لتصبح ذات دلالة قصوي في الموضوع وهو يتعرض للحديث عن غارات الروم علي جزر البحر المتوسط كجزيرة قوصرة التي كانت تابعة للاغالبة فيقول "وصاروا يخرجون كل عام مراكب تطوف بالجزيرة ... وربما طارقوا تجارا من المسلمين فيأخذونهم"، وهكذا تتواتر التفاصيل عمن "امتحنته الايام في النعم اوان الشيخ والهرم وابتلته بذل الأسر وطول الشقاء في دار الكفر ، وبحسب حاله من الثروة ومكانه من النجدة اشتط عليه واخذ منه في الفداء جميع ما في يده"[90].

وتعرض أهل البر من سكان السواحل المغربية لغارات الروم ، فترد اشارة إلي معاناة أهل رباط برادس حين أغارت عليهم حملة رومية أواخر القرن الأول الهجري "في مراكب لهم

فقتلوا من بها وسبوا وغنموا"[91] وتأتي الروايات البيزنطية مدعمة ومؤكدة للمعطيات السابقة حيث أكدت علي أن بلاد المغرب قد ظلت طيلة القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري عرضة للقرصان خاصة النورمان الذين كانوا يعودون محملين بالأسري والأسلاب[92] وهي الظاهرة التي استمرت خلال فترات لاحقة[93].

ولم تكن معاناة أهل الأدب من الشعراء والأدباء اقل شأناً من نظرائهم التجار والمتصوفة، إذ تعرض بعضهم للأسر أثناء التنقلات اليومية ، فهذا الشاعر مجبر بن إبراهيم بن سفيان – شاعر الاربس ووالياها في عصر الأغالبة – يقع أسيرا في يد الروم اثر غارة بحرية نقل بعدها الى القسطنطينية ضمن غيره من الأسري حيث مات هناك [94] ، كما تعرض الشاعر الشاعر التونسي علي بن محمد الايادي (ت365هـ/975م) لهذا المصير حين " خرج في البحر ... فأسر ببلاد الروم"[95] ، وهو ما ينسحب على الشاعر القيرواني ابن المؤدب (ت417هـ/1026م) الذى أُسر أثناء سفره إلي صقلية واقتيد إلي بلاد الروم وأقام هناك مدة عاني فيها أهوال الأسر وعبر عن ذلك قائلاً:

لا يذكر الله قوما حللت فيهم بخير

جاهدت بالسيف جهدي حتى أسرت وغيري[96]

ويبدو أن السبي الذي كان يقع بأيدي الروم كان هو الآخر وفيراً ، وحسبنا أن حملة قادها القائد الأغلبي محمد بن خفاجة عام 251هـ/962م إلي قصريانة قد باءت بالفشل حين وقع في كمين نصبه الروم فقد بسببه ألف أسير وقتيل[97]، كما تنهض دليلاً علي تلك الوفرة معاهدات الصلح التي ابرمها الأغالبة لتبادل الأسري مع الروم ، ففي عام 259هـ /969م انتهت غزوة اغلبية إلي سرقوسه بأن صالحوا أهلها علي أن "يخرجوا اليهم من اسري المسلمين الذين كانوا عندهم ثلاثمائة وستين رأساً"[98] ، وفي عام 281هـ/991م انعقد الصلح بين الطرفين لمدة اربعة اشهر "علي اخراج ألف أسير من المسليمن"[99] ، وليس ادل علي استفحال

ظاهرة اسر الروم للمسلمين من أن اصبحت المسائل المرتبطة بالفداء والأسر والافتكاك من اهم انشغالات فقهاء العصر المفتين[100].

السبي في عهد الدولة الفاطمية

ولم نُجَّرْ من قبل المصادر في كشف حالة هؤلاء الأسري وطبيعة معاملتهم ونوعية الخيارات التي تقرر مصائرهم ، اللهم إلا تلك الاشارات المنفلتة والتي وردت بصورة عرضية لا تروي ظمأً ولا تشفي غليلاً ، فهذا الرحالة المسلم إسحاق بن الحسين[101] – الذي زار العاصمة البيزنطية خلال القرن الرابع الهجري – يلح علي المعاملة الطيبة التي لاقاها الأسري المسلمون من قبل الروم فـ"هم يحسنون إلي المسلمين الأسري الذين عندهم ويجرون عليهم الأرزاق"، إلا أنه من العجلة القول بعمومية تلك المعاملة ، فان إشارات أخري تكشف عن مصير آخر كان ينتظر بعض الأسري المسلمين ، فقد روي عبد الرحمن بن انعم[102] – والذي سبق القول بأسره – انه رفع ضمن طائفة من الأسري إلي ملك الروم فـ " أمر سيافه بضرب عنق واحد بعض آخر"، إلا أن صاحب الترجمة قد نجا من القتل حين أعجب الملك بطلاوة حديثه فعفي عنه ، وانشد الشاعر القيرواني مجبر بن إبراهيم بن سفيان يصف سوء حالة وحالة إخوانه من الأسري عند الروم قائلاً :

إلا ليت شعري ما الذي فعل الدهر بإخواننا يا قيروان ويا مصر

رأينا وجوه الدهر وهي عوابس بأعين خطب في ملاحظها شرر

لعل الذي نجا من الجب يوسف وفرج عن أيوب إذ مسه الضر

يصبر أهل الأسر في طول أسرهم علي معضلات الأسر لا سلم الأسر[103]

ومع انتقال السلطة إلي الفاطميين ازداد تدفق السبي الخارجي ، فقد أولي الفاطميون أمور البحر اهتماماً خاصاً منذ أيامه الأولي ،حتى غدا البحر المتوسط تحت سيطرتهم"بحيرة إسلامية"[104]،وهو ما كشف عنه ابن خلدون [105]، بوضوح تام من خلال نص هام ذي دلالة بالغة يثبت فيه ما بلغه أسطول الفاطميين من القوة ، ودوره الملحوظ في شن الغارات علي التخوم البيزنطية فيقول "وكانت ... أساطيل أفريقيا والأندلس في دولة العبيديين والأمويين تتعاقب إلي بلادهما ... فتجوس خلال السواحل بالإفساد والتخريب وانتهي أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلي مائتي مركب أو نحوها وأسطول أفريقيا كذلك مثله ... قد غلبوا علي هذا البحر ... وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشئ من جوانبه ، وامتطوا ظهرهم للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة علي السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية و صقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وسائر ممالك الروم والإفرنج ، وكان أبو القاسم الشيعي وأبناؤه يغزون أساطيلهم من المهدية ... فتنقلب بالظفر والغنيمة ... وصارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهبة...قد ضربت عليه ضراء الأسد علي فريسته وقد ملأت الأكثرمن هذا البحرعدة وعدداً واختلفت في طرقه سلماً وحرباً".

علي الرغم من طول هذا النص إلا أن إثباته يعد أمرا هاماً ليتبين من خلاله السيادة الفاطمية علي البحر المتوسط ، فضلاً عن تاكيده على تعدد الجبهات التي شملتها الغارات الفاطمية، وهو ما ينبئ صراحة عن ازدياد عمليات السبي استفحالاً خلال هذا العصر ، وهكذا تزخر روايات المصادر بإشارات تكشف عن وفرة السبي القادم من الشمال إلي بلاد المغرب الفاطمية ، فكان أوله ذلك السبي المتحصل من الحملة التي جردها المهدي عام 296هـ/908م إلي مدينة دمنش أحدي مدن صقلية بقيادة الحسن بن احمد "فسبي وغنم "[106]، ويبدو أن هذه الحملة لم تؤت هدفها المنشود مما اضطر المهدي إلي بث حملة أخري في العام ذاته إلي المدينة حيث دخلها الجيش الفاطمي "فغنم وسبي واحرق"[107]، وفي عام

310هـ/922م حققت حملة فاطمية شنت علي مدينة اغاثي نصراً كبيراً ، حيث استولي قائدها مسعود الفتي علي المدينة عنوة بعد أن غزاها في عشرين شينياً "وسباها وانصرف إلي المهدية"[108] ، كما غزي جعفر بن عبيد الحاجب جنوبي ايطاليا بعد ذلك بثلاث سنوات فافتتح مواضع كثيرة من بينها مدينة واري التي "قتل بها ستة آلاف مقاتل واخرج منها عشرة آلاف سبية واسر بها بطريقاً ... وأوصل جميع الغنائم إلي عبيد الله الشيعي"[109]، وجنحت رواية الداعي إدريس[110] إلي الزيادة في أعداد السبي فذكرت انه كان سبياً "كثيرا قيل انه بلغ عددهم احدي عشر ألفا ووصل بهم إلي المهدية".

وأياما كانت هذه الاختلافات فقد بلغ السبي من الوفرة حداً كبيراً ، حتى أنه أدهش الحاضرين بمجلس المهدي فعبر أحدهم عن دهشته قائلاً "ما رأيت كاليوم منظراً"[111]، إلا أن المهدي لم يقنع بذلك حيث ابتدر الرجل حين امتدح أمانة القائد الشيعي قائلا "والله ما أعطاني من الجمل إلا أذنيه"[112] ، ويبدو أن الرغبة في المزيد من السبي والغنائم قد دفعته إلي تجريد حملة مماثلة عهد بها إلي قائده الصقلبي صابر الفتي فغزا السواحل الإيطالية عام 315هـ/ 927م "في أربعة وأربعين مركباً فأصاب في غزاته هذه وسبي"[113] ، ثم توالت غارات الأساطيل الفاطمية تترى علي الجنوب الإيطالي بقيادة القائد الصقلبي ، ففي عام 317هـ/929 م حقق نصراً هاماً في معركة بحرية علي الأعداء فتح بعدها مدينة ترمولة "وسبي فيها سبياً كثيراً "[114]، فسجل صاحب " عيون الأخبار " [115] احصاءً لهذا السبي بما ينيف علي " ثمانية عشر ألف نفس " ، كما تلقت جنوة وسردنية ضربة قاسية من الأسطول الفاطمي عام 322هـ/933م بقيادة يعقوب بن إسحاق " فسبي وغنم " [116]، عاد بعدها إلي المهدية "بفيئهم وسبيهم ومغنمهم"[117]، وتعرضت سردنية لهجوم آخر في العام التالي حيث داهمها أسطول فاطمي أوقع بأهلها ، خرج بعده الفاتحون بغنائم عظيمة حيث " سبوا فيها واحرقوا

"[118]، مما مهد الطريق إلي قلورية والتي عبر إليها المنصور الفاطمي باسطول ضخم ثم " أتي بفيئها وسبيها "[119].

وتوالت الروايات المصدرية مشيرة إلي تواصل عمليات السبي الخارجي زمن المنصور الفاطمي ، ففي عام 340هـ/951م – وبعد انتصاره علي الثائر الخارجي أبي يزيد النكاري – اخرج أسطولاً عظيماً لغزو سواحل ايطاليا بقيادة فرج الصقلبي" فقُتل من العدو ثلاثون ألفا واسر منهم ألوف وغنم الجند ما لا يعبر عنه "[120] و" عاد فرج إلي المهدية بالغنائم والسبي "[121]،وفي العام ذاته خرج أسطول آخر بقيادة الحسن بن علي الكلبي فدخل أرض ايطاليا وهزم الروم" وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون إلي الليل... وسيرالرؤوس إلي مدائن صقلية وإفريقية " [122].

وامتداداً للحملات الفاطمية علي أراضي الروم – والتي صارت أمراً تقليدياً – عهد المعز الفاطمي عام 351هـ/962م إلي قائده احمد بن الحسن برئاسة حملة إلي قلعة طبرمين فحاصرها حصاراً شديداً نيف علي سبعة اشهر حتى عظم الأمر علي سكانها " وطلبوا أن يؤمنوا علي دمائهم ويكونوا رقيقاً للمسلمين وأموالهم فيئاً فأجيبوا إلي ذلك وأخرجوا من البلد " [123] ، ويفصح صاحب " الحلل السندسية " [124] عن حصيلة رقمية لما غنمه القائد الفاطمي من القلعة فجعل " جملته ألف وسبعمائة رقيق وسبعون رأساً" ، ولما دخل عام 353هـ /964م تعرضت صقلية لحملة شديدة جردها المعز، وكان جيشا عظيما زاد علي اربعين ألف مقاتل فوطئوا الجزيرة وهزموا الروم هزيمة منكرة " وغنموا ما لا يحد ... فأرسل إلي المعز الأسري والرؤوس"[125] " و كان من جملة الغنائم والأسري الذين يعدون بالآلاف مجموعة من الصقالبة " [126]،وواصلت الحملة بعد ذلك طريقها إلي رمطة والتي خارت قوي أهلها لما سمعوا بزحف الفاطميين إليهم ، فاهتبل الجنود فرصة بالليل ودخلوا المدينة علي حين غرة منهم " وقتلوا من

فيها وسبوا الحرم والصغار وغنموا ما فيها وكان شيئاً كثيراً عظيماً"[127] ثم جاوز الجيش ا لبحر الى جنوب ايطاليا " فسبي قلورية وهدم كنائسها"[128].

وهكذا بلغ سبي الروم الذي تحصل عليه الفاطميون من الوفرة حداً كبيراً ، اتخذ منه المعز مجالاً للفخر والمباهاة مسجلاً إياه في متن رسالته التي راح يدرأ بها اتهام أموي الأندلس له بموادعة الروم ، حيث جاء فيها " هزمنا أساطيلهم وقتلنا حماتهم ... وامتلأت أيدي أوليائنا من سبيهم وغنائمهم"[129] كما عبر عن ذلك في رسالة أخري قال فيها "إنهم [الروم] قد سألونا ورغبوا إلينا أن نطلق لهم مما سبيناه وأسرناه من رجالهم ونسائهم وذراريهم فما أجبناهم"[130].

وافتقرت مصادرنا في إعطاء إشارات عن وقوع سبي مغربي في أيدي الروم زمن الفاطميين ، اللهم إلا إشارتين يتيمتين وردت أولاهما علي لسان المعز نفسه وهو يدرأ عن نفسه دعوى الناصر الأموي الذى اتهمه فيها بتخاذله وهزيمته أمام الروم قائلا في رسالته "هل علمتم أن الروم اسروا من المسلمين من قبلنا إلا أهل المركب الحمال الذي مر بهم؟!"[131]، أما الإشارة الثانية فقد وردت في صورة رسم بتوقيع الإمام نفسه أرسل به مستبشراً إلي خادمه جوذر يحمل سروره حين علم أن ملك الروم "بعث خمسة عشرة مركباً فيها أساري المسلمين وهدايا وغير ذلك"[132].

5.خاتمة:

مثّل حوض البحر المتوسط بجزره وأشباه جزره وتخومه المتعددة خلال القرون الأربعة الأولى للاسلام مسرحاً لعمليات السبي التي طالت ساكنة الجبهتين الشمالية والجنوبية،نتيجة المواجهات الحربية المتلاحقة،وكانت أعداد السبي وفيرة بشكل كبير،حتى أن تلك الحملات الحربية كانت مصحوبة بعدد من تجار الرقيق للاستفادة القصوى من عمليات السبي[133].

ولكن ما مصير هؤلاء الأسرى،وما دورهم التاريخي سواء في بلاد المغرب أو أوربا.نترك الاجابة عن ذلك لبحث آخر أكثر عمقاً واوسع تفصيلاً.

6.الهوامش والاحالات:

(1) *Brunschvig (R): Abd", in Encyclopedia of Islam, Leiden, v.1, 1960,p.27.*

(2) لم يكن اسلام البربر ليعصمهم من السبي والاسترقاق من منظور بعض الولاة،والذين تحول بعضهم إلي جباة ومسترقين أكثر مما كانوا رعاة لمصالح مرؤوسيهم.انظر بهذا الخصوص ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، 1961، ص 292. الرقيق القيرواني: قطعة من تاريخ أفريقيا والمغرب، تحقيق عبد الله العلي وعز الدين موسي،ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990ص 72،ابن عذاري: كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب،ج1، تحقيق ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت،1983، ص ص 51، 52 . *Talbi (M): " Rapports de l'ifriqiya et de l'orient au VIIIe siecle ", in cahiers de tunise, t.7, 1959, p.302.*

(3) ابن خلكان: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977، جـ3، ص333.

(4) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط ليدن 1967، ص 215 .

(5) المسالك والممالك، ط ليدن، 1927، ص 71

(6) صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

، ص ص 184، 185، ثم تابع اشارة اخري عند البلخي: كتاب صور الاقاليم، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 334 جغرافيا، ورقة 40.

(7) ابن الازرق: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق سامي النشار،وزارة الاعلام،العراق،1978، جـ1، ص55.

(8) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 184.

(9) ابن خلكان: مصدر سابق، جـ3 ،ص 334 .

(10) البقاعي: اخبار الجلاد في فتح البلاد، مخطوط بالهيئة العامة للكتاب،تحت رقم2220 تاريخ تيمور عربي، جـ3، ميكروفيلم 54254، ورقة 46.

(11) ابن الاثير: الكامل في التاريخ،تحقيق محمد يوسف الدقاق،ط دار الكتب العلمية بيروت، ط3 1998،كما تم الاعتماد على طبعة دار صادر، بيروت،(د، ت)،جـ2، ص 489 .

(12) رواية عريب بن سعد عند ابن عذاري: مصدر سابق،جـ1، ص ص16، 17، ثم قارن ابن الاثير: مصدر سابق، جـ3، ص30، والذي حدد تارخ الحملة بعام 33هـ، ابن ابي دينار: مصدر سابق، ص40، ثم تابع نقاشا عريضا حول هذه الحملة اعتماداً علي روايات المصادر العربية والبيزنطية عند: *Amari: Storia die Musulmani di Sicilia, Catani, 1933 – 1935 v.1 , pp 195-209.*

(13) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص33 .

(14) نفسه، المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، جـ1، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، 1951، جـ1، ص30.

(15) ابن عذاري: نفسه.

(16) البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق دي سيلان،ط. الجزائر، 1857، ص ص 37، 38، التجاني: الرحلة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، (د.ت)، ص 58، وأكدت النصوص البيزنطية تلك النتيجة مؤرخةً الحملة بعام 697م بقيادة البطريق يو حنا، انظر سعد زغلول عبد الحميد: مرجع سابق، جـ1، ص195 والذي نقل الروية عن شارل ديل *Diehl (CH)* وجورج مارسيه *Marcais (G)*.

(17) بخصوص وفرة السبي المغربي في عهد موسى بن نصير انظر ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص275، ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1،ص34،المقري: نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صابر بيروت، 1988، جـ1، ص239 ،السراج الاندلسي: الحلل السندسية في الاخبار التونسية،تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي،1984،ج1،ص537.

(18) لمزيد من التفصيل انظر محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الاسلامي، مكتبة مدبولي،القاهرة، ط3 1988، جـ2، ص ص448-451، محمد الطالبي: مصدر سابق، ص ص 419-422، السيد

عبد العزيز سالم و احمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط، بيروت، 1971،ص21 وما بعدها.

(19)ابن الاثير: مصدر سابق، جـ3، ص252، الحميري: كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط2 بيروت،1980.

، ص 351 .

(20) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق،تحقيق محب الدين العمرى،دار الفكر ، بيروت،1995، ج61، ص 216، ابن خياط: ، تاريخه، تحقيق اكرم ضياء العمرى، دار القلم، بيروت،ط2 1397هـ ، ج1، ص 81.

(21) ابن عساكر : نفسه،ابن قتيبة: مصدر سابق، جـ2، ص58.

(22) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص 42 .

(23) مصدر سابق، جـ2، ص 5، الحميري: مصدر سابق، ص392 .

(24) دوزي: المسلمون في الاندلس، ت. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جـ1، ص ص 43، 44، بنمليح: مصدر سابق، ص64، *Levi provencal (E): Histoire de l'espane musulmane , Paris , 1950 , t.1 , p.1 6.*

(25) مؤلف مجهول:اخبار مجموعة في فتح الاندلس،تحقيق ابراهيم الابياري،دارالكتب المصرية،القاهرة،1981،ص17.

(26) الرقيق القيرواني: مصدر سابق، ص 44.

(27) نفسه.

(28) مصدر سابق، ص 283.

(29) مصدر سابق، جـ2، ص68.

(30) مصدر سابق، جـ24، ص52 ، وكذا المقرى: م0س، ج1، ص277.

(31) مصدر سابق، ص 5، ثم تابع هذه الارقام عند: *Pipes (D): Slave Soldiers and Islam: The Genesis of a military system, New Haven, 1981p.124.*

(32) نفسه، *Pipes: ibid* .

(33) ابن قتيبة: مصدر سابق، جـ2، ص68.

(34) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص49، الرقيق القيرواني: مصدر سابق، ص 66، النويري: نهاية الارب في فنون الأدب، جـ24، تحقيق حسين نصار،ط. الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1983، جـ24، ص57، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط بولاق 1302هـ، جـ1، ص273، السلاوي: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصي، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، جـ1، ص93 ،*op.cit , v.1 , p.297 Amari :*.

(35) ابن واضح: تاريخ ابن واضح، مطبعة المعزي، النجف، 1358هـ، جـ3، ص59 .

(36) ابن عساكر: م0س، ج37، ص 416، خليفة بن خياط: مصدر سابق، ص96.

(37) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص61.

(38) *Savage: Savage (E): "Berbers and Black's: Ibadi Slave Traffic in eighth – century North Africa", in Journal of African history, t.33, 1992 p.362.*

(39) ابن الاثير: م .س، جـ5، ص97.

(40) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص65 .

(41) لمزيد من التفصيل انظر : *Amari: op.cit , v.1 , p.301*

(42) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص ص 92، 93.

(43) مصدر سابق، نفس الجزء، ص 92، ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط " القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام"، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص.14.

(44) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط مصر 1954، ص 264.

(45) القفطي: انباه الرواه علي انباه النحاه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، 1950، جـ1، ص214، ويبدو ان انفراد هذين المصدرين بتلك الرواية قد دفع البعض إلي القول بانه لا يمكن اثبات قيام الأغالبة باية غارة علي صقلية قبيل عام 206هـ/821-822 م – انظر

محمد الطالبي: مصدر سابق، ص 427، الا ان رواية بيزنطية موثقة يمكن ان تدعم الرواية السابقة تذكر ان معاهدة ابرمها الامير الأغلبي عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب حال ارتقاءه العرش عام 196هـ/ 813م مع القائد البيزنطي جريجوري نصت علي تبادل الاسري بين الطرفين والذين لانشك ان طرفاً منهم علي الاقل كانوا محصلة حملة ابيه المذكورة، انظر تفصيلاً لذلك عند: *Amari: op.cit , v.1 , pp.350-357*

(46) ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط " القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام"، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني،ط. دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص19.

(47) مصدر سابق، جـ1، ص181، في حين صدفت هذه الحملة عن مخيلة ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص97. فراح يسجل عن احداث سنة 204هـ انه " لم يكن فيها ولا في التي بعدها خبر يجتلب"

(48) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ 1، ص102، البكري: المسالك جـ1، ص485، الحميري: مصدر سابق، ص366.

(49) مصدر سابق، جـ2، ص25.

(50) المقريزي: المقفى الكبير،تحقيق محمد اليعلاوى،دار الغرب الاسلامى،1991.، جـ2، ص 61.

(51) نفسه.

(52) المالكي: مصدر سابق، جـ1، ص188 .

(53) ابن خلدون: كتاب العبروديوان المبتدا والخبرفى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر،ط. دار الكتب العلمية بيروت،1992، جـ4، ص239.

(54) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ5، ص439 .

(55) نفسه.

(56) البكري: مصدر سابق، جـ1، ص487.

(57) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ6، ص49.

(58) ابن خلدون: مصدر سابق، جـ4، ص241.

(59) نفسه.

(60) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص111، *Amari: op-cit , v.1 , p.457.*

(61) ابن عذاري: نفسه، *Amari: op-cit , v.1 , p 459 .*

(62) ابن عذاري: نفسه.

(63) ابن عذاري: نفسه، جـ1، ص112، ثم تابع بقية الحملات تباعاً عند المؤلف ذاته: مصدر سابق، جـ1، ص ص 112، 113، حيث اردف هذه الحملات بعبارات " فغنم وسبي " و " فسبي وغنم " و " فقتل وسبي وغنم " و" سبي جميع ما كان فيها واحرق وبث سرايا كثيرة فاصابت وغنمت "، ثم قارن *Amari: op-cit , v.1 , pp.462-473.*

(64) ابن خلدون :مصدر سابق، جـ4، ص240 ،الحميري، مصدر سابق، ص 476، حيث ذكر انه أهدي له " خيار ما سبي وصيف ووصيفة ".

(65) *Talbi (M) ": Droit et Economic en ifriqiya au III'/ IX' Siecle , le paysage agricolle et le rôle des esclaves* dans l'economie du pays", p.194.ضمن كتابه السابق دراسات في تاريخ إفريقية، ثم تابع اشارة عند: *Amari: op.cit , v.1 , p.485*

(66) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ6، ص 257، الحميري: مصدر سابق، ص385.

(67) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص117 .

(68) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ 6، ص313 .

(69) النويري: م .س، جـ24، ص134 .

(70) مصدر سابق، نفس الجزء، ص136.

(71) ابن الخطيب: مصدر سابق، ص 35، الحميري: مصدر سابق، ص471 .

(72) ارشيبالد لويس: القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، ترجمة احمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960، ص 224.

(73) مصدر سابق، جـ1، ص326 .

(74) عبد اللطيف عامر: أحكام الأسري والسبايا في الحروب الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986، ص 83 نقلا عن ابن تيمية: السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية.

(75) المدونة، مطبعة السعادة، مصر، ط1323هـ، جـ3، ص16.

(76) كتاب الاموال، تحقيق رضا محمد سالم، مركز احياء التراث المغربي، الرباط، (د.ت)، ص123.

(77) مصدر سابق، ص 185.

(78) مصدر سابق، ص 70.

(79) ابن رشيق القيرواني: ديوانه، جمع وترتيب عبد الرحمن باغي، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ص49.

(80) طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي و نعيم اليافيعي، الدار التونسية للنشر، ط2 1985، جـ1، ص103، ثم تابع الرواية عند: الرقيق القيرواني: مصدر سابق، ص 127، ابن عساكر: مصدر سابق، جـ34،ص354.

(81) المالكي: مصدر سابق، جـ1، ص338 .

(82) اليعقوبي: البلدان ، ط ليدن1891-1892، ص 350، المالكي: م .س، جـ1، ص337.

(83) عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، جـ 2، ص 601، المالكي: مصدر سابق، جـ1، ص348 .

(84) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل إفريقية والاندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء باشراف محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، جـ8، ص ص 302، 303. ويبدو ان حركة التجارة وظاهرة القرصنة كانتا في تلك الفترة نشاطين متلازمين، تفصح عن ذلك نازلة عرضت علي الفقية القيرواني سحنون تخص ثلاثة شركاء من التجار تنازعوا حول قسمة الغنائم التي ظفروا بها من خلال عملية قرصنة كانوا قد اتفقوا علي القيام بها. نشر هذه النازلة وعلق عليها من منظورها الفقهي: *Talbi (M) :" Interet des oevers Juridiques traitant de la guerre pour l'historien des armies medievles ifriqijennes ", cahiers de tunisie ,t.15 ,1956, pp.289-293 .*

(85) الونشيريسي: مصدر سابق، جـ8 ، ص298.

(86) مصدر سابق، نفس الجزء، ص 302.

(87) ابن سلمون الكناني: العقد المنظم للحكام فيما يجري بين ايديهم من العقود والاحكام " علي هامش كتاب تبصرة الحكام لابن فرحون "، المطبعة العامرة الشرفية، مصر، ط1 1301هـ، جـ2، ص ص 7، 8 .

(88) انظر علي سبيل المثال ابن الحاج: تقريب الامل البعيد في نوازل الاستاذ ابي سعيد، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 5 فقه مالك، ورقة 128، الونشريسي: مصدر سابق، جـ8، ص298.

(89) مصدر سابق، جـ7، ص159.

(90) ابن بسام: الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1978-1979، ق3، م 1، ص311.

(91) التجاني: مصدر سابق، ص 6.

(92) نقل هذه الرواية هايد (ف): تاريخ التجارة في الشرق الادني في العصور الوسطي، ترجمة احمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، جـ1، ص76.

(93) راجع اشارات تتعلق بالقرنين الخامس والسادس الهجريين لدي الصدفي: السر المصون فيما اكرم به المخلصون، تحقيق محمد الشريف، نشر ضمن كتابه " المغرب الاسلامي: نصوص دفينة ودراسات "، تطوان، ط2 1999، ص ص 44، 55، ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص ص 78، 89، ثم تابع دراسة:

De Mas latrie (M.L.) Traites de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chretiens avec les arabes et l'adrique setentrionale au moyen age, Paris , 1866 , p.216. عن حركة القرصنة المتبادلة بين المسحيين والعرب في افريقيا الشمالية خلال العصور الوسطي، ثم قارن:

Amari: op.cit , v.1 , p.382 , v.2 , pp.321-323.

(94) ابن الابار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2 1985، جـ1، ص186.

(95) ابن رشيق: قراضة الذهب، نشر الشاذلي بو يحيي، تونس، 1972، ص 103.

(96) ابن رشيق: انموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1986، ص177، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليه، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973، ص155.

(97) *Amari: op.cit , v.1 , p. 485*

(98) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص114.

(99) مصدر سابق، نفس الجزء، ص129.

(100) انظر علي سبيل المثال ابن الحاج: مصدر سابق، ورقة 128، البرزلي: جامع مسائل البيان لما نزل بالقضايا من الاحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 88 فقه مالك مصورة عن الخزانة العامة بالرباط، جـ1، ورقات 37 –39، المالكي: مصدر سابق، جـ1، ص 144، عياض: مصدر سابق، جـ3، ص276، ابن سهل: مصدر سابق، جـ1، ص 149، الونشريسي: مصدر سابق، جـ2، ص158، جـ5، ص247، جـ7، ص ص 161، 207، جـ10، ص ص 294، 297، الوزاني: مصدر سابق، جـ3، ص ص 48، 49.

(101) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 83 جغرافيا، ورقة 26.

(102) أبو العرب تميم: مصدر سابق، جـ1، ص103.

(103) ابن الابار: مصدر سابق، جـ1، ص186.

(104) محمود اسماعيل: مصدر سابق ، جـ2، ص ص 447-449، السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، بيروت، 1971، ص63.

(105) المقدمة، دار القلم، بيروت، ط11 1992، ص ص 253، 254، ثم تابع هذا النص وتحليلاً له من خلال الوضعية العسكرية للبحر المتوسط خلال الحكم الفاطمي عند محمود اسماعيل: م. س، جـ2، ص ص 447-451.

(106) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ6، ص461.

(107) المقريزي:اتعـــاظ الحنفـــا في ذكـــر الائمـــة الفـــاطميين الخلفـــا،تحقيق جمـــال الـــدين الشيال،دارالفكرالعربي،1948، ص 93.

(108) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ1، ص188 .

(109) نفسه، جـ1، ص190.

(110) مصدر سابق، جـ5، ص50 .

(111) ابن عذاري: نفسه.

(112) نفسه.

(113) نفسه، جـ1، ص192 .

(114) نفسه، ج1، ص194

(115) الداعى ادريس: تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب "من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار " ،السبع الخامس، تحقيق فرحات الدشراوى، ط. تونس، 1979م ، ص 71.

(116) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ7، ص 100، ثم تابع هذا السبى عند المقريزى: اتعاظ الحنفا، ص 108 ابن خلدون: العبر ،جـ4، ص84، وقارن الرواية البيزنطية مدعمة ببعض الروايات العربية عند: Amari: op .cit,v.2 , p 181.

(117) ابن حيون: رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي،ط. دار الثقافة، بيروت، 1970،277.

(118) ابن الاثير: مصدر سابق جـ 4، ص 272.

(119) ابن حيون: مصدر سابق، ص 279.

(120) الذهبى: م .س، جـ 11، ص580.

(121) المقريزى: المقفى الكبير، جـ 2، ص 174.

(122) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ 7 ،ص239.

(123) مصدر سابق، جـ 7، ص ص 275، 276 .

(124) السراج الاندلسى: مصدر سابق، جـ2، ص32.

(125) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ7، ص285.

(126) الجوذرى: سيرة الاستاذ جوذر " وبه توقيعات الائمة الفاطميين"، تحقيق محمد حسين كامل، ومحمد عبد الهادي شعيرة،ط. دار الفكر العربي، مصر، 1954، ص ص 88، 179.

(127) ابن الاثير: مصدر سابق،ج7،ص285..

(128) ابن حيون: مصدر سابق، ص 281 .

(129) ابن حيون:المجالس والمسايرات،تحقيق مجموعة باشراف محمد اليعلاوي،دارالغرب الاسلامي،ط1997،2،ص161

(130) نفسه، ص 166 .

(131) نفسه .

(132) الجوذري: مصدر سابق، ص125

(133) انظر تفصيلا لذلك عند توفيق بن عامر: مرجع سابق، جـ1، ص 176، موريس لومباور: مرجع سابق، ص 291، ليفى بروفنسال: الصقالبة، مقال بدائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية، جـ12، 1933، ص ص 250 – 252.